تكريم الأستاذ الدكتور/ قدري حفني

بقلم أ.د./ إلهامي عبدالعزيز

أساتذتي وزملائي ...السيدات والسادة

شرف عظيم أعتز به ما حييت أن أكون أحد المشاركين في حفل تكريم أحد علماء مصر الحاصلين على جائزة الدولة التقديرية في العلوم الاجتماعية لعام ٢٠٠٠ وأن أقدم أبن من أبناء هذا البلد الحبيب عاش في رحاب وادي النيل واكتسب من النهر العظيم عطاؤه الدائم بلا حدود ومقدره للتغلب على الصعاب وبلوغ الهدف وحصد احترام تلاميذه وزملائه ولم يكن طريقه خلال رحلته مفروش بالورود ولكنها رحلة كفاح وعزيمة وعمل كانت وما زالت مستمرة وتفيض بالعطاء بل وتتعدى حدود مصرنا الحبيبة.

بدأت الإسهامات الفكرية للأستاذ الدكتور / قدري حفني في الحياة الثقافية العامة منذ نيف وأربعين عاماً إثر حصوله عام ١٩٥٨ على درجة الليسانس الممتازة في علم النفس من كلية الآداب بجامعة عين شمس أي أنه بدأ ذلك الإسهام وهو يعمل أخصائياً نفسياً في وزارة الصناعة قبل انضمامه إلى عضوية هيئة التدريس بقسم علم النفس بكلية الآداب التي التحق بها مدرساً مساعداً عام ١٩٧٢.

لقد بدأ سيادته الإسهام في النشر العلمي إثر تخرجه مباشرة حيث شارك في ترجمة كتاب مشكلات الحياة الانفعالية لسيرجيون انجلش وجيرالد بيرسون التي صدرت عام ١٩٥٩ وما زالت تلك الإسهامات مستمرة حيث نشرت جامعة الدول العربية في أواخر عام ٢٠٠١ كتابة المعنون "الطفل العربي، والانتماء القومي".

حصل الأستاذ الدكتور / قدري حفني على درجة الماجستير عام ١٩٧٢ في علم النفس الصناعي بتقدير ممتاز من كلية الآداب بجامعة عين شمس، وقد قامت الجامعة بطباعة الرسالة وتبادلها بين الجامعات عام ١٩٧٤، وهو نفس ما قررته الجامعة بالنسبة لأطروحته للحصول على درجة الدكتوراه، وكانت تلك سابقة تقدير نادرة، أن تقوم الجامعة بطباعة وتبادل أطروحتي الماجستير والدكتوراه لأحد أبنائها.

وتدرج سيادته بعد ذلك في سلك أعضاء هيئة التدريس بقسم علم النفس بكلية الآداب حتى وصل إلى درجة الأستاذية عام ١٩٨٤، ثم انتقل إلى معهد الدراسات العليا للطفولة عام ١٩٨٦ ليتولى عمادة المعهد لفترتين متتاليتين من ١٩٨٦ إلى ١٩٩٢، فضلاً عن رئاسة قسم الدراسات النفسية والاجتماعية به إلى بلوغه سن التقاعد عام ١٩٩٨.

وقد وقع عليه الاختيار منذ عام ١٩٩٥ ليكون ضمن أعضاء اللجنة الدائمة للنظر في ترقيات أساتذة علم النفس والفلسفة، وقد أسهمت جهوده ومقالاته المنشورة في تجميع كلمة المتخصصين في علم النفس حول ضرورة استقلال علم النفس كعلم متميز بلجنته المستقلة للنظر في تقييم الإنتاج العلمي لأبناء التخصص. ومن ثم فقد تشكلت للمرة الأولى اللجنة الدائمة لترقية أساتذة علم النفس عام ١٩٩٩ وتم انتخاب سيادته ليكون مقررا لها حتى انتهاء دورتها عام ٢٠٠١.

وعبر تلك الأعوام صدر له بالعربية والإنجليزية ما يزيد عن مائة مؤلف ومترجم بين كتاب وبحث ومقال. وتغطي تلك المؤلفات مجالات عدة من بينها التاريخ الاجتماعي لعلم النفس. والتنشئة الاجتماعية، وعلم النفس الصناعي، ومشكلة الأمية، والقياس النفسي، والمراهقة، والصراع العربي الإسرائيلي، والتدريب الإداري، وتنظيم الأسرة، ومشكلات الطفولة، وسيكولوجية الإعلام.

وقد تميزت إسهاماته الفكرية هذه بسمتين بارزتين:

السمة الأولى:

هي حرصه على الربط بين علم النفس والمجتمع والسعي إلى الخروج به من مجال التخصص الأكاديمي الضيق، إلى مجال القضايا الاجتماعية العامة بل والسياسية الساخنة.

والسمة الثانية:

هي تجاوزه لموقف المتلقي لإنجازات العلم في الغرب، وحرصه على تقديم وجهة نظر نقدية لتاريخ علم النفس ونظرياته الكبرى، في محاولة غير مسبوقة بين علماء النفس العرب للبحث في الأصول السياسية الاجتماعية لنشأة هذا العلم، والانتماءات الأيديولوجية لروّاده.

ولعل من أهم ما حققه سيادة الدكتور / قدري حفني في مجال الربط بين تخصصه الاكاديمي والحياة الثقافية والسياسية العامة، هو توظيفه لهذا التخصص في مجال الصراع العربي الاسرائيلي من منظور قومي عربي، وبذلك فقد كان أول من ارتاد هذا المجال، بل مجال السياسة الخارجية عامة، من علماء النفس العرب.

وقد حصل سيادته على جائزة الدولة التشجيعية في علم النفس عام ١٩٧٢ وذلك عن أول مؤلفاته عن الشخصية الإسرائيلية وعنوانه: "تجسيد الوهم" الصادر عام ١٩٧١ ومنح على أثرها وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى في ١٩٧٣ وكان حصول أستاذنا الدكتور/ قدري حفني على مثل هذا التكريم من بين المتخصصين في علم النفس قبل حصوله على درجة الدكتوراه، بل حتى قبل التحاقه بالسلك الجامعي بمثابة الاستثناء الذي لم يتكرر حتى الآن.

ولقد كان سيادته ضمن المجموعة الأولى من المتخصصين في العلوم الإنسانية الذين وضعوا اللبنات الأولى. لأول المراكز المتخصصة التي أنشأتها مصر لدراسة الصراع العربي الإسرائيلي اثر حرب ١٩٦٧، وهو مركز الدراسات الفلسطينية والصهيونية بمؤسسة الأهرام، وكان كتابه "تجسيد الوهم"، الذي أشرنا إلى استحقاقه لجائزة الدولة التشجيعية في علم النفس، هو باكورة إنتاج هذا المركز كما أنه أسس وتولى رئاسة وحدة الدراسات الإسرائيلية بمركز بحوث الشرق الأوسط، جامعة عين شمس من عام ١٩٧٤ إلى عام ١٩٧٧ و حصل على درجة الدكتوراه في علم النفس عام ١٩٧٤ عن رسالة عنوانها: "دراسة في الشخصية الإسرائيلية: الاشكنازيم"، والتي تعد أول الدراسات الأكاديمية العربية المتخصصة في هذا المجال، وقد قامت جامعة عين شمس – كما أسلفنا – بطباعتها على نفقتها وتبادلها بين الجامعات عام ١٩٧٥، وصدرت منها طبعتان بعد ذلك لدور نشر مختلفة، كما صدر له مؤلف آخر في نفس الموضوع بعنوان "الإسرائيليون من هم؟ عام ١٩٨٩ وذلك فضلاً عن العديد من المقالات والبحوث المنشورة في هذا المجال والتي ما زالت تتوالى ومن ثم فقد تمكن عبر تلك السنوات الطويلة من تكوين مدرسة علمية رائدة تخصصت في دراسة الأبعاد النفسية الاجتماعية للصراع العربي الإسرائيلي.

وقد كان الأستاذ الدكتور/ قدري حفني هو أول من صاغ منذ وقت مبكر تعبير السلام الهجومي وطرحه باعتباره الاستراتيجية العربية المثلى لمواجهة إسرائيل ومن ثم فقد اختارته الدولة ليكون ضمن الوفد المصري الرسمي في مؤتمر السلام الذي انعقد في مدريد في نوفمبر ١٩٩١، حيث كان العضو الوحيد المتخصص في علم النفس بين كافة أعضاء الوفود المشاركة في المؤتمر. كما أنه قد مثل مصر في الملتقى الأوروبي العربي الذي أنعقد في مدينة طليطلة بأسبانيا، في أكتوبر ١٩٩٤.

ولم يحل النشاط المكثف لأحد أساتذتنا المكرمين اليوم وهو الأستاذ الدكتور/ قدري حفني في مجالات العمل الوطني، دون قيامه بالمهام الأصيلة للأستاذ الجامعي المتمثلة في التدريس الأكاديمي، والبحث العلمي وإعداد الكوادر العلمية المتخصصة، فتم تحت إشرافه إنجاز ما يزيد عن مائة رسالة جامعية، أسهمت في التكوين العلمي لما يزيد عن أربعين عضواً من أعضاء هيئات التدريس الجامعي في الجامعات المصرية والعربية بلغ بعضهم درجة الأستاذية، وذلك فضلاً عن عضويته في الجمعية المصرية للدراسات النفسية، والرابطة المصرية للأخصائيين النفسيين، وعديد من اللجان العلمية والثقافية المتخصصة في وزارات الثقافة، والإعلام. والبحث العلمي.

ولقد حازت الانجازت العلمية البحثية المتخصصة لسيادته على تقدير عدة هيئات دولية وعربية فضلاً عن الهيئات المصرية، فشارك في العديد من المؤتمرات واللقاءات العلمية والتدريبية في الولايات المتحدة الأمريكية، وسويسرا، واليونان، وإنجلترا، واليمن، والجزائر، والمملكة العربية السعودية، والكويت والبحرين، والعراق، ولبنان، وأسبانيا، وتركيا.

كما استعانت به على المستوى الدولي منظمة الأمم المتحدة للأطفال التي اختارته مستشاراً لها في دولة البحرين لإنجاز دراسة عن احتياجات واتجاهات الشباب كما استعانت به نفس المنظمة مستشاراً لها بمصر لإنجاز برنامج عن التربية من أجل السلام. واستعانت به كذلك المنظمة العربية للثقافة والعلوم للمشاركة في صياغة استراتيجية عربية لرعاية الأطفال في الوطن العربي، واستعانت بخبرته كذلك منظمة الصحة العالمية في جنيف في مجال تخطيط البحوث

الاجتماعية، كما استعانت به نفس المنظمة للمساهمة في وضع استراتيجية العمل في مجال الصحة النفسية في مصر. وذلك فضلاً عن إسهاماته في العديد مـن أنشـطة منظمة اليونسكو.

وامتدت إسهامات سيادته على المستوى العربي لتشـمل أنشـطة للعديـد مـن المؤسسات منها على سبيل المثال جامعة الدول العربية والمركز العربـي للتنميـة الصناعية بالرياض التابع لمنظمة العمل العربية ومجلس وزراء العمـل والشـئون الاجتماعية بدول مجلس التعاون في الرياض، والمنامـة، ودبـي، وإدارة ريـاض الأطفال بوزارة التربية والتعليم بدولة الإمارات العربية المتحدة، ومركز التخطـيط التابع لمنظمة التحرير الوطني الفلسطينية، والمجلس العربـي للطفولـة والتنميـة، ومعهد البحوث والدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية.

أما على المستوى المصري فقد شملت إسهامات سيادته العديد مـن المؤسسـات القومية والعلمية منها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، والمجلس الأعلى للشـباب والرياضة. والمجلس الأعلى للصحافة، والمجلـس القـومي للأمومـة والطفولـة، والمجلس القومي للسكان، والمركز القومي لدراسات الشـرق الأوسـط، ومركـز البحوث والتنمية، ومركز الدراسات الشرقية بجامعة القـاهرة، والمركـز القـومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، ومركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة عين شمس، والمؤسسة الثقافيـة العماليـة، واتحـاد الإذاعـة والتليفزيـون، والهيئـة العامـة للاستعلامات، ومركز الإعلام والتعليم والاتصال. والمركز القومي لثقافـة الطفـل، ومعهد التدريب الإذاعي والتلفزيوني، وصندوق التنمية الثقافية، ومركز إعداد القادة الثقافيين وكلية الدفاع الوطني، وصندوق مكافحة وعلاج إدمان وتعاطي المخدرات.

إما عن أهم الإنجازات التي يذكرها أستاذنا الدكتور/ قدري حفني فهي تلاميـذه المنتشرين داخل ربوع الوطن وخارجه وقد آثر هؤلاء الا أن يكتبوا اليه فـي يـوم الوفاء.

وإذا بدأنا من صعيد مصر يرسل الأستاذ الدكتور/ محمد سمير عبدالفتاح أسـتاذ علم النفس وعميد المعهد العالي للسياحة والفنادق ببرقه جاء فيهـا أسـتاذي العـالم الجليل الأستاذ الدكتور/ قدري حفني يشرفني أن أكتب اليوم لأستاذ وعـالم جليـل

ومثل أعلى في الخلق وقدوة في العطاء ونموذجا لأستاذا جامعيا يحب العلم ويخلص له فأحبه العلماء.

برقية أخرى وردت من دكتور/ محمود شوقي حسين بقسم علـم الـنفس بكليـة الآداب جامعية أسيوط يقول فيها أستاذنا الكريم أن لك في عقولنـا وقلوبنـا مكانـة متميزة لما أسهمت به وما زلت تسهم في تكوين وتشكيل وعـي طلابـك كبـاحثين يتميزون برحابه الأفق وعمق التفكير والانفتاح على التيارات العلمية والفكرية دونما جمود أو تعصب وأعتقد مخلصا أن العديد من أبناء هذا التخصص المتميـزين هـم ثمرة فعلية لغرسك المتميز.

برقية أخرى من أبنك الأستاذ الدكتور/ طريف شوقي وكيل كليـة الآداب ببنـي سويف جامعة القاهرة يقول فيها، رؤيتك تذكرني بالحكمة والمس حين أتعامل معك الأبوة الحانية وكتاباتك تضعني أمام عالم حاذق، وأشعر حين اسـتمع إليـك بـأني أرشف خبرة مقطرة تزهر عقلي.

ابن آخر هو الأستاذ الدكتور / عبدالمنعم شـحاته وكيـل كليـة الآداب جامعـة المنوفية يقول عن أستاذه الأستاذ الدكتور / قدري حفنـي أسـتاذ متفـرد يمـارس الاشـراف بمعنـاه الإنسـاني فيشـعرك بالتسـامح .....فتشـارك ، وبالأمـان.....فتجتهـد، وبالمسـئولية.....فتنطلـق، وتنفـتح علـى غيره.....كما أنفتح أستاذنا على الآخرين حتى تلاميذه.

أما الأستاذ الدكتور / فتحي الشرقاوي أستاذ علم النفس بكلية الآداب بجامعة عين شمس فيقول،

قدري حفني....اسم يحمل حروف من نور داخل قلوب عشاق العلم.

فالقاف : قدرة فائقة على التواصل مع طلابه.

والدال : دليل الكفاءة والاقتدار على الخوض في بحار العلم.

والراء : ريادة في مجال التخصص يعلمها ويعرفها كل من سنحت له الظـروف من الاقتراب منه.

والياء : يسر وعدم تعسير.

والحاء : حدس في فهم اتباعه ومريديه.

والفاء : فعّال نشط في الإنجاز.

والنون : نباهه وعقلانية التفكير.

والياء : يسر وعدم تعسير.

إليك أستاذنا في يوم تكريمك أطيب وأرق نسمات التحية عشنا على أفكـارك ولا زلنا على الدرب نسير.

فيا ملاّح السفينة وربانها لك كل معاني الكلمات الطيبة التي نحملها في سـويداء قلوبنا.

أما الأستاذة الدكتورة / فؤادة هدية الأستاذ بمعهد الدراسات العليا للطفولة فتقـول برقيتها أستاذي الدكتور/ قدري حفني يمثل لي العالم الحقيقي الذي يتمتـع بإتسـاع الأفق والاستيعاب الكامل للمنهجية العلمية وفهم لهذه المنهجية في إطارها التاريخي والاجتماعي والسياسي واحد مظاهر هذا الاستيعاب العميق هـو تنـوع المواقـف العلمية والثقافية لتلاميذه واختلافهم حتى عن أستاذهم، أما على الجانب الإنساني فلا أجد ابلغ من عبارة لعالم النفس كارل يونج لتعبر عن ذلك فهو يقول: عندما ينظـر المرئ إلى الوراء فهو يشعر بالتقدير للمعلمين الأذكياء ولكنه يشعر بالامتنان لهؤلاء الذين مسوا مشاعر الإنسانية.

أما برقية الأستاذ الدكتور/ عادل كمال خضر رئيس قسم علم النفس بكلية الآداب جامعة الزقازيق فيقول فيها.

أحيي فيك رائدا من رواد علم النفس بمدرسة عين شمس تعلمنا على يديه كيـف نزن الآراء والنظريات العلمية بعقلنا وفكرنا وحوارنا مع أنفسنا ومع غيرنـا مـن المتخصصين وقد حرصت دوما على أن توضح لنا أن الخلاف في الرأي لا يفسـد للود قضية ونحن نحاول جاهدين أن نمتثل بك في أسلوبك السهل الممتنع الذي تجمع فيه بين بلاغة البيان وفصاحة الخطاب متعكم الله بالصحة ونفعنا بما تعلمنـا علـى يديك وكلنا أمل أن نتعلم منك المزيد.

برقية أخرى على لسان الأستاذ الدكتور/ العارف بالله محمد الغندور أستاذ علـم النفس بآداب عين شمس جاء فيها..

كنت أستاذاً وأصبحت عالما ومعلما للأجيال

ليس فقط للعلم وأنما للحلم والخلق الرفيع العال

جباك الله بصيرة وحماك من كل قيل وقال

فأصبحت نموذجا يحتذي من كل مريد ومحب كريم الخصال

ندعو الله أن يحفظك ويرعاك ويمد في عمرك لتحقق لعلم النفس وأجيالـــه كافـــة الآمال

أما الأستاذ الدكتور/ رزق سند إبراهيم أستاذ علم النفس بكلية الآداب جامعة عين شمس فقد أرسل قصيدة طويلة أذكر منها:

ماذا أقول أحبتي وأعيد

واليوم في دنيا المودة عيد

أستاذ هذا الجيل بل وعميده

واليه يرجع دارس ومعيد

تتضاءل الكلمات في تكريمه

والفضل منه دائم وجديد

متواضع حجم المحامد عالم

كالبحر دوما بل عليه يزيد

وما زالت البرقيات تنهال للمشاركة ولكني أرى أن أســتاذنا الـدكتور / حامـد زهران يشير إلى أن الوقت قد أنتهى ولكن سيظل علمك دوما وسيظل حبنا وتقديرنا وإعزازنا وفخرنا بسيادتكم أبدا لن ينتهي.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته